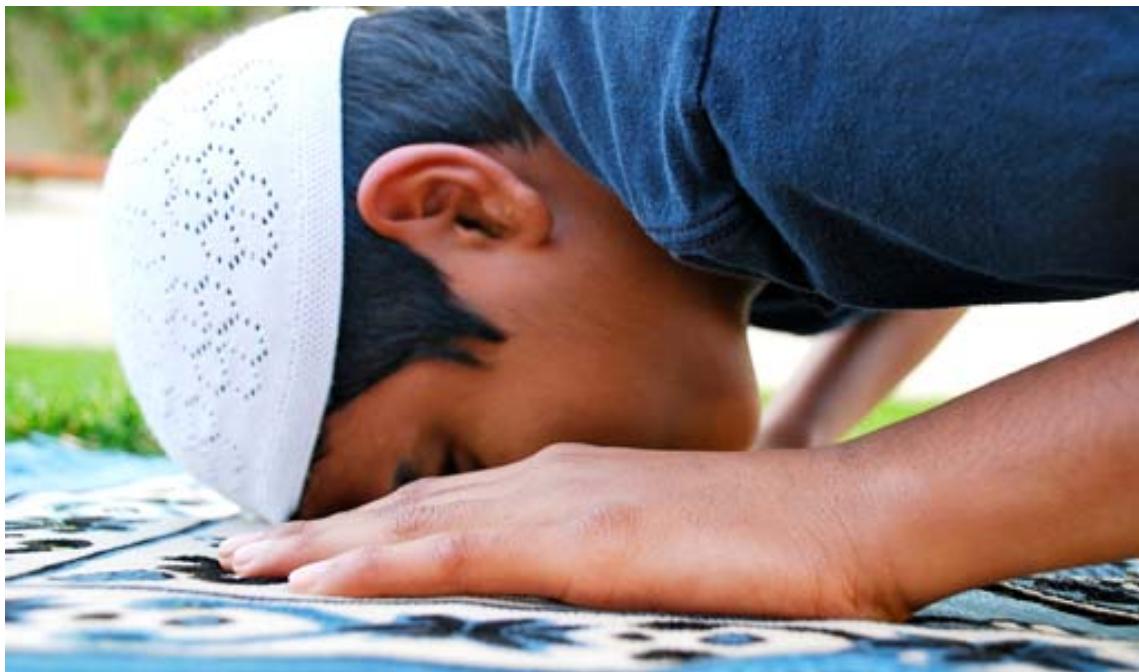


## صلاتي.. وصلاحي/ ج(1)



القارئ الكريم.. الهدف من هذا الموضوع هو إيصال فكرة صحيحة من خلال نصائح يقدمها أب حريص على تنشئة أبنائه تنشئة دينية سليمة عن طريق قصة يرويها بأسلوب واضح يتعلم الابن أو البنت من خلالها مفاهيم مهمة كالصلة والصوم والزكاة والعمل الصالح وغيرها. يعتبر هذا الموضوع جزء من كتاب "صلاتي.. وصلاحي" الذي يتناول أهمية معرفة الجيل بالصلة والعمل الصالح، وفي هذا الجزء من الكتاب تناول مفهوم العمل الصالح وبالاجزاء اللاحقة سوف يتم تكميله هذا المفهوم إن شاء الله. في ليلة شتائية قارصة البرد.. كان المطر في الخارج يهطل بغزارة.. وكان شمل العائلة ملتئماً حول المدفأة ذات اللّهب الأزرق التي تبعث بدهء لذذ يتسلل في الأوصال فينعشها، ولذا فقد وجد الأب الفرصة سانحة للحديث مع ولديه: (أحمد) الذي ناهز السادسة عشر من العمر، و(ليلي) التي أكملت أربعة عشر ربيعاً، فيما كانت الأم مشغولة بحياتها اليدوية. قال الأب: ليالي الشتاء طويلة، ولذا فهي غنية.. مما هو رأيك في أن تستثمر الفرصة لأحدكم في أمر ينفعكم في الدنيا والآخرة؟ برقت عيون (أحمد) و(ليلي) استبشاراً، وقد راقت لهما فكرة تمضية الوقت الفاustin عن دراستهما في الإفادة من حديث الأب الذي سبق له أن حدّثهما أحاديث مما ثلة شعراً بقيمتها، وو جداً أثرها في حياتهما. قال (أحمد) مبتسمًا: نريدك يا أباً حدثناً يبعث فينا دفناً إضا فياً، فالليلة شديدة البرد. قالت (ليلي): أحاديث با با كلّها دافئة. ضحكت الأم قائلة: كلّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة. إنّتم الأب معلمـقاً: وبأـمـها أيضـاً! ثمـ قال: دعونا ندخل في الجد.. فلقد

قررت أن أحدكم عن العمل الذي إذا عمله الإنسان دخل الجنّة. قال (أحمد): هل هو الصلاة؟ قال الأب: هو الصلاة، وهو أكثر منها. قالت ليلى: هل هو الصيام؟ قال الأب: هو الصيام، وهو أكثر منه. قالت الأم: هل هو العمل في سبيل الله؟ قال الأب: هو كل ذلك. قالت ليلى: لقد شوّقتنا.. هات ما عندك يا أبتي.. قال الأب: سأحدّثكم عن العمل الصالح، وقبل أن أعرّف لكم، دعوني أطرح عليكم بعض الأسئلة كمقدمة للدخول في الموضوع: إذا رأيت رجلاً مسناً يحمل أثقالاً.. فتهرب إلى مساعدته لخفيف عنه عناء حملها، فماذا تُسمّي خدمتك له يا أحمد؟ أحمد: أقول هذا عمل حسن في مجال المساعدة الإنسانية. الأب: ولو طلبت منك صديقتك في المدرسة أن تعينيها في حل بعض الإشكالات العلمية الغامضة أو الصعبة، فماذا تُسمّي بين مساعدتك يا ليلى؟ ليلى: أسمّيه تعاوناً طيباً ومُثمناً. الأب: ولو جاءك صديقك وهو يُعاني من مشكلة ما، ولم تستطع مساعدته في حلها، لكنك تشاركه مشاركة وجدانية في التعاطف معه مما يخفيف من وقع المشكلة عليه، فماذا تُسمّي عملك هذا يا أحمد؟ أحمد: كما تسمّيه أنت: مشاركة وجدانية. ليلى: ولكن المشاركة الوجدانية عمل صغير، ليس كالإعانة على الوصول إلى حل المشكلة. الأب: هذه الملاحظة جوهرية في تعريف العمل الصالح. فقد نتصوّر أو يتบรร إلى أذهاننا أزمه العمل الضخم الكبير الذي يملأ العين، فبناء ملجاً للأيتام عمل صالح في نظر الناس، لأنّه يؤوي هؤلاء الذين حرموا من نعمة الأمومة والأبوة، ولأنّ النبي (ص) أوصى بهم خيراً: "أنا وكافل اليتيم كهما تين - وجمع بين السباقة والوسطى - في الجنّة"، وهو نداء الله سبحانه وتعالى: (فَأَمّا

الْيَتَامَةُ فَلَا تَرْقِهَا رُورٌ) (الضحى/9). أمّا أن تأخذ بيد الأعمى لتنقله من هذا الجانب من الشارع إلى الجانب الآخر، فقد يعتبره بعض الناس عملاً صالحًا، ولكنهم يرون أنه عمل بسيطاً. أحمد: أفهم من كلامك يا أبي أنّ العمل لا يُقاس بحجمه؟ الأب: هذا بالضبط ما أردت التنبيه إليه، فالآيات والأئمة والأئمة التي طرحتها عليكم، سواء كانت الأعمال فيها صغيرة أو كبيرة، هي أعمال صالحة ولكن بشرط.. ليلى: إذا كانت صالحة، فلماذا الشرط؟ الأب: هي أعمال حسنة وجيدة، وحتى تكون صالحة في المعنى الإسلامي للعمل الصالح لابد من أن يتوافر فيها شرط إرادة رضا الله سبحانه وتعالى، وبمعنى آخر، فإن الإسلام لا ينظر إلى شكل العمل ولونه وحجمه، بل ينظر إلى الدافع الذي دفع الإنسان للقيام به: هل كان المراد منه إرضاء طموح شخصي؟ أو الحصول على شهرة بين الناس؟ أم كانت الغاية منه التقرب من الله أكثر ابتغاء مرضاته؟ وأعني بابتغاء مرضاته أن أقوم بالعمل الإنساني لأنّ الله يحبّه ويدعو إليه. ليلى: لنفترض مثلاً أنّني قدّمت خدمة لإحدى صديقاتي من أجل أن يُقال عنّي أزّي مُحسنة، أو متعاونة، أو خدومة.. فهل هذا يضر في صحة عملي أو تسميته عملاً صالحًا؟ الأب: هذا هو مربط الفرس يا ليلى.. لقد أوصلتينا إلى النقطة الحساسة في الموضوع، فالميزان

الذي يزن به الإسلام الأعمال هو الدافع المحرّك لها، أو كما يُعبر عنها بـ"النية"، فبقدر ما تكون النية صالحة يكون العمل صالحًا، وأمّا إذا فسست النية أو خالطها ما يشوبها، بأي شكل من أشكال الفساد، أو أيّة شائبة تُخرجها عن معنى النية الصالحة أو الخالصة، فلا يعدّ العمل صالحًا حتى ولو أبهر أبصار الناس وأخذ بعقولهم. أحمد: هل هذه الأعمال القبيحة والجحود التي صنعتها أيدي الناس وعقولهم لا تعتبر صالحة لمجرد أنها لم تتبع رضاك؟ أليست هي أعمالاً نافعة خدمت وخدمت البشرية؟ الأب: هي - في الإسلام - أعمال حسنة أو جيدة أو نافعة، لكنها ليست أعمالاً صالحة بالمعنى الإسلامي للعمل الصالح، فقد يُسمّى بها الناس أعمالاً صالحة وهم يقصدون أنها جيدة أو مفيدة، اللهم إلا إذا كان الغرض منها الاستجابة لإرادة الله والتقرّب إليه يجعل العمل خالصاً له. ليلى: كيف تكون جيدة ونافعة ولا تكون صالحة؟ الأب: سؤالك اللطيف والمهم يُدخلنا في معرفة خصائص العمل الصالح. فمرة ننظر إلى العمل من حيث طبيعته حجماً ونوعاً وتأثيراً في حياة الناس، ولذا يحقّ لنا أن نعتبر بناء المستشفى والمدرسة وملجاً للأيتام والمصنعين، أعمالاً نافعة، ونقارن بينها في أحجامها ونتائجها. ومرة ننظر إلى العمل من حيث التصاقه بالإنسان ومدوره عن شخصيته الإيمانية، أي أنّ العمل يمثل صورة الإنسان في تفكيره وعواطفه وسلوكيه الروحي والإنساني في القيام بأيّ عمل يعمله. وفي الحالة الأولى تكون المقارنة بالشكل التالي: بناء مشفى أعظم من بناء بيت شخصي، والتصدق بألف دينار أكبر من التصدق بمائة، وإعطاء الدواء للمريض أفضل من إدخال السرور على قلبه والتحفيض من ألمه بطريقة نفسية، إذا لم يتمكّن من توفير العلاج له. وفي الحالة الثانية، قد يكون بناء البيت أو التصدق بمائة دينار أو مواساة المريض أعمالاً كبيرة بقدر ما تصدر عن نفوس كبيرة، فالعمل الصغير هنا يعدّ عن شخصية صغيرة ليس لها - فيما تعمله - سوى أهداف ذاتية في الحالة الأولى - يعدّ عن شخصية صغيرة ليس لها - فيما تعمله - سوى أهداف ذاتية ومزاجية ضيقة. وألخص لكم منظور الإسلام للعمل بأنّ قيمة أي عمل تتصل بمضمونه وليس بشكله، فإذا كانت الدوافع مصلحية، أو تجارية، أو هي عادة ذاتية اعتادها صاحبها، أو كان العمل تقليداً اجتماعياً أعمى، أو مزاجاً شخصياً بحتاً، فلا يستحقّ صاحبه ثواباً عند الله عليه، لأنّه عمل يخلو من المعنى الروحي الإنساني الكبير، أي العمل في سبيل الله. وبهذا يمكن أن نصوغ هذه النظرة الإسلامية للعمل الصالح بالشعار التالي: "الإسلام يهتم بالدowافع وليس بالمنافع". ليلى: هل نفهم من ذلك أنّ الإسلام يلغى مسألة المنافع المترتبة على العمل إلغاءً كلياً؟ الأب: كلا، ولكنّه يركّز على الدوافع والنوافع أوّلاً وقبل كلّ شيء، وحينما تكون الدوافع خيرة فإنّ الأعمال الناتجة عنها ستكون خيرة أيضاً، وبالطبع، إذا كان الدافع صالحًا والعمل كبيراً، فالمنفعة ستكون كبيرة أيضاً، ولذا حثّ الإسلام على

الأعمال النافعة: "خير الناس مَنْ نفع الناس"، وذلك ضمن الشرط الذي ذكرناه، أي العمل في سبيل الله وابتغاء مرضاته. استمعوا لهذه القصة من سيرة النبي (ص) .. لمَا أُتِيَ بسبياً (طيء) وهي قبيلة عربية مشهورة كان الكريم (حاتم الطائني) أحد أبرز شخصياتها، كان من بين السبايا ابنة (حاتم)، فخاطبت النبي (ص) قائلة: إن رأيتَ أن تُخلِّي سبيلي ولا تُشمت بي أحياء العرب، فأنا ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يفك العاني (الأسير)، ويُشعّب الجائع، ويكسو العاري، ويُفتشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قط.. أنا بنت (حاتم الطائني)! فقال النبي (ص) والتفتوا إلى ردّه: هذه صفات المؤمنين، خلّوا عنها، فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، فعفا عنها إكراماً لأبيها، لما يعني أن الإسلام يُقدّر الأعمال الطيبة، والأخلاق الحسنة حتى ولو صدرت عن غير المسلمين، ولكنّه - بحسب مفهومه للعمل الصالح الذي لا بدّ أن يُراد به وجه الله أي رضاه - عمل غير صالح، لا يعني أنّه عمل منكر أو قبيح أو سلبي، بل لأنّ غايتها تختلف. ويبدو من أمثال هذه القصص أن الله تعالى اطلع على سرائر هؤلاء فرآهم يجذبون السخاء ومكارم الأخلاق لا لأجل السمعة والمحااهة، بل حبّاً بإكرام الضيف وإعانته المحتاج، وهو ما يُربّي الإسلام عليه، أي أنّ هؤلاء لم يعملا عمالة لهم ولطلباً لمرضاته، بل إنّ طبيعة عملهم الدالة على نفوس خيرة جعلت الإسلام يقف منهم هذا الموقف الإيجابي. أَحْمَد: أَلَا ترَى يَا أَبَتِي أَنْ هُنَاكَ خِيطاً رَفِيعاً بَيْنَ مَا هُوَ (عَمَلٌ طَيِّبٌ) وَبَيْنَ مَا هُوَ (عَمَلٌ صَالِحٌ)؟ أَبُوكَ ذِكْيَرْيَانِي: لَقَدْ طَرَحَ أَحَدُ الْأَشْخَاصِ سُؤَالاً كَسُؤُالِكَ هَذَا عَلَى الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ (ع)، وَسَأَلَهُ عَنِ الْأَخْلَاقِ: مَا هِيَ؟ فَقَالَ (ع): "الْخُلُقُ مِنْهُ مِنْحَةٌ يَمْنَحُهَا إِلَيْهِ الْجَنَاحُ" فَأَيّْهُمَا أَفْضَلُ؟! فَقَالَ (ع): "صَاحِبُ الْنِيَّةِ أَفْضَلُ". ثُمَّ عَلَّمَ السَّبِيلَ قَائِلاً: إِنَّ صَاحِبَ السُّجِيَّةِ (مثلك حاتم الطائني) هو المجبول (المطبوع) على الأمر الذي لا يستطيع غيره، وصاحب النية هو الذي يتصرّر على الطاعة، فيصير بهذا أفضلاً! أعرفت الفرق يا أَحْمَد، فصاحب النية يحتاج إلى بذل جهد وطاقة للتوجيه سلوكه أحياناً اتجاهها مخالف لهوى نفسه. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الدوافع الصالحة والنوايا الطيبة التي يُراد بها وجه الله تساعدنا على المداومة على العمل الصالح، أي إنّها ضمانة للإستمرار والإكثار من الأعمال الصالحة، أمّا الدوافع الأخرى - الذاتية والضيّقة - فمتغيّرة متذبذبة وخاضعة للمزاج والظروف والمصلحة، وبالتالي فلا يمكن الاعتماد على إنّها ستنتج أ عملاً صالحاً على طول الخط. الشرط الأساس في العمل الصالح إذاً هو أن يكون في سبيل الله وطلباً لمرضاته، ولذا فإنّنا يمكن أن نسجّل كلّ عمل حتى ولو كان (مثقال ذرّة) في عداد الأعمال الصالحة إذا توفّر فيه هذا الشرط، ويمكن أن أوضّح لكم ذلك من خلال الحديث الشريف التالي: "يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقول الله (سبحانه وتعالى): خذوه إلى النار، فيقول: لِمَ يَا ربّ وقد أنفقتُ

مالٍ في سبيلك؟! فيقال: كذبت، إِنَّمَا أَنْفَقْتَ لِكِ يُقال عنك أَنْكَ كريم، ويؤتي باخر فيقول إِنَّمَا (عز وجل): خذوه إلى النار، فيقول: لِمَ يَا رب وقد قاتلتُ في سبيلك؟! فيقال: كذبت، إِنَّمَا قاتلتَ لِكِ يُقال عنك إِنْكَ شُجاع. ويؤتي برجل فيقول إِنَّمَا (جل) شأنه): خذوه إلى النار، فيقول: لِمَ يَا رب وقد أَفْنَيْتُ عمرِي في طلب العلم؟! فيقال: كذبت، إِنَّمَا طلبتَ العلم ليزداد خلفك خفق النعال[1]. وعلى هذه الأفعال يمكن قياس ما سواها من أعمال، لنعرف أيّها الصالح وأيّها السيئ الطالح، أو العمل الذي يُراد به رضا إِنَّمَا والعمل الذي لا يُراد به رضا إِنَّمَا. وأذكّركم دائمًا أنَّ المعيار ليس المنفعة، فقد تكون بعض الأعمال نافعة ولكنّها غير صالحة في المنظور الإسلامي. أحمد: ألسنا بذلك نقلًا من دائرة الأعمال الصالحة فنحصرها بالأعمال التي يقوم بها المؤمنون فقط؟ ترى، ماذا نقول عن هذه الأعمال التي تُسدي خدمات جليلة للبشرية؟ الأَب: لقد ميزنا بين العمل الصالح وبين العمل غير الصالح في المفهوم الإسلامي، ولكن تبقى للأعمال والخدمات العلمية والتكنولوجية منافعها التي لا تُنسى ولا تُنكر، ألا ترانا نستفيد من ذلك كلَّه في حياتنا العلمية؟ ولو لا الانجازات الكبيرة في كلَّ مجال من مجالات العلم والعمل والمعرفة، لكنَّا نعيش البداوة والتخلف. إِنَّا نقى م كلَّ عمل من خلال طبيعته في حجمه ونوعيته وتأثيره في حياة الناس، ولا تخس الناس أشياءهم، وقد تحظى بعض الأعمال بجوائز مالية أو تقديرية محلية أو عالمية لما تضيّفه من انجازات لما سبق أن أَنجزهُ علماء وخبراء سابقون. وحينما نقول عن هذه الأعمال أَنَّها ليست صالحة اسلامياً، فإن ذلك لا يعني فسادها، فهي صالحة لخدمة الإنسان في كلَّ مكان وليس أعمالاً مُنكرة أو مُستهجنة، ولكنها أعمال يريد لها الإسلام أن تصدر عن روح مؤمنة تقدِّم عطاءها للإنسانية بلا مذلة، أي أَنَّ هدفها رضا إِنَّمَا لا رضا الناس، وذلك على طريقة: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان/ 9). ورضا الناس قد يتلقى مع رضا إِنَّمَا وقد يفترق، ولكنَّ العمل الذي نعمله ولا نطلب أجراً عليه من أحد سوى الله، فهو العمل الصالح، وهذا ما تعمل كلَّ العبادات في الإسلام: صلاةً وصوماً وحجّاً وزكوةً وجهاداً من أجله. ليلي: من ذلك نستنتج أنَّ العمل الصالح هو العمل الذي يؤدي أو ينبع من الإيمان الصادق، وهو الذي ينطوي على الأخلاق إِنَّمَا سبحانه وتعالى، أليس كذلك؟ الأَب: هذا استنتاج ذكي يزيد في ثقتي بفطنتك يا ليلي. ولكن دعوني أختتم حديث هذه الليلة بمثال تقريري من واقع حياتنا: فلو أَنَّ تاجراً عيّن موظّفاً في متجره ليعمل لصالحه فقط، فهل يحقُّ للعامل أو الموظّف أن يعمل للتاجر، أي لربِّ العمل وللتاجر آخر، بعدهما اشترط ربُّ العمل أن يكون عمل الموظّف كلَّه لأجله، في مقابل ما يدفعه له من أجور مجانية لا يجدها عند أي تاجر آخر؟! ليلي: لقد سمعتُ منه دائمًا تقول: "المؤمنون عند شروطهم". أحمد: وتقول أيضاً: "العقد شريعة المعاقدين". الأَب: أي لا يجوز

التلاعب بالشروط المتفق عليها بين المؤمنين. فما بيننا وبين رب العالمين أشبه بالعقد الذي لا يجوز الإخلال به، فلقد اشترط علينا - وهو خالقنا ومستخلفنا في الأرض - أن يكون العمل له وحده لا شريك له. فإذا عملنا له ولغيره، فإنّنا نكون قد أخللنا بشروط الاتفاق، وخرقنا العهد والأمانة التي حملنا إياها: (إِنَّمَا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَا أَنْ يَحْمِلْنَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلْنَا إِنْسَانًا إِنَّهُ كَانَ ظَالِّومًا جَاهُولًا) (الأحزاب/ 72). طلوعما لنفسه وللأمانة ولربه، وجهولاً بقيمة هذه الأمانة وآثارها العظيمة. وسنكمel الحديث في أشكال العمل الصالحة، في الأجزاء اللاحقة إن شاء الله.

[1] - يكثر خلفك خفق النعال: أي يزداد الملتفون حولك من الحاشية والمسبحين بحمدك.